قراءة في ظاهرة التحرش الجنسي بالمرأة في العمل

إن قضايا حقوق الإنسان في معظم دراساتها التاريخية ورصد وقائعها كانت تحمل في طياتها الصفة الفردية للإنسان؛ كان ذكرًا أو أنثى؛ وظهر مع تطور العصر ما نطلق عليه الحقوق الاجتماعية، وهي الظواهر التي تمس الإنسان ولكن نتيجة شيوعها مع مجموعة من أفراد المجتمع تصبح ظاهرة اجتماعية تخرق حقوق الإنسان الآدمية الفردية والمجتمعية... ونحن اليوم أمام قراءة موجزة حول ظاهرة حقوقية اجتماعية من الدرجة الأولى وهي التحرش الجنسي بالمرأة في العمل.

في حياتنا المعاصرة اليوم تزداد معاناة المرأة العاملة والدارسة سواء كانت فتاة أم متزوجة بسبب ظاهرة "التحرش الجنسي" والتي تتلون مظاهره بين التحرش الشفهي من إطلاق النكات والتعليقات المشينة، والتلميحات الجسدية، والإلحاح في طلب لقاء، وطرح أسئلة جنسية، ونظرات موحية إلى ذلك، ثم تتصاعد حتى تصل إلى اللمس والتحسيس والقرص، وهو يعد من ألوان إهانة المرأة وإذلالها، وهو صورة من صور الأذى التي حذر الله تعالى من وقوعه على المرأة، قال تعالى: (فَلا يُؤْذَيْنَ) [سورة الأحزاب: آية ٥٩].

وهذه المعاناة أخذت تبرز في مقدمة اهتمامات سائر الدول اليوم، بعد أن كانت تعالج في الخفاء، فأنشئت من أجلها المنظمات المناهضة، وعقدت المؤتمرات، وسنت القوانين.

وسأتجاوز التحرش بالأطفال الذي تشير له دراسة الجمعية الأمريكية للنساء الجامعيات: إن أربعة من كل خمسة طلاب يتعرضون إلى تحرشات جسدية ولفظية عادة ما تكون أمام المدرسين تبدأ في سن مبكرة منذ دخولهم المدرسة( ).

وأتجاوز التحرش الذي يتعرض له الرجال! والذي أسس مركز خاص لعلاج ضحاياه من الرجال ومقره دافنبورت في ولاية أيوا الأمريكية.

وسأتجاوز التحرش بالمرأة في الحياة العامة في وسائل المواصلات والشوارع والأسواق والمتنزهات.

لكنني سأركز في دراستي المختصرة لهذه الظاهرة على التحرش بالمرأة في العمل والدراسة.. لأنه أكثرها انتشارًا، ولأن الدراسة والعمل في نظر الكثيرين هما بوابة الدخول لتحقيق المرأة حياة الحرية والمساواة بالرجل! !

ودراسة هذه الظاهرة من الصعوبة بمكان فالأرقام والإحصائيات لا تمثل إلا جانبًا بسيطًا من تلك المعاناة التي تعيشها المرأة العاملة في العالم اليوم، وذلك للأسباب التالية:

١. حساسية الموضوع، وأن كثيرًا من ضحايا التحرش تخاف من الفضيحة، وتلويث السمعة، فإن أصابع الاتهام ستشير إليها بالدرجة الأولى، لذلك فهي تفتقد الجرأة والشجاعة في التحدث عن معاناتها. تقول الأستاذة "عزة سليمان" مدير مركز قضايا المرأة المصرية: أن ظاهرة التحرش الجنسي هي قضية "مسكوت عنها" في المجتمع المصري نظرًا لحساسية هذه القضية.. ثم تقول: لا توجد إحصائيات أو أرقام توضح مدى هذا التحرش، وهو ما يجعل الوقوف على أثار الظاهرة صعبًا ( ).

٢. بعض الضحايا تخاف من فقد عملها، فهذه جيوفانا ريفيري -من تشيلي- تذكر كيف أنها كانت تكره الذهاب إلى عملها في وزارة الزراعة، حيث كان رئيسها يتحرش بها جنسيًا كل يوم، وتقول: إنها شعرت بكونها أسيرة الحاجة لكسب عيشها، وبالعجز عن مقاومة إساءاته وتحرشاته المباشرة ( ).

٣- الخوف من تعثر الدراسة جعل بعض الضحايا يلتزمن الصمت، وهنا تقول أمينة طالبة جزائرية: عمري ٢٣ سنة أدرس سنة ثالثة حقوق رسبت سنة؛ لأنني ببساطة رفضت المواعيد الغرامية التي كان يضربها لي أستاذي الفاضل، لا أحد من عائلتي يعلم بالأمر، فقط صديقاتي، ولحسن حظي أنه لم يدرس لي خلال السنة التي تلت.

وإن فضلت أمينة التنازل عن سنة من عمرها، ومثيلاتها كثيرات، فإن أخريات رضخن للأمر الواقع سواء اختصارًا للطريق أو هروبًا من شبح الرسوب، بينما لا تزال أخريات إلى الآن يعانين من المساومة، وهناك أستاذ ينتظر منهن الإجابة بنعم، وإلا فإن النجاح سيصبح صعب المنال( ).

٤. شعور الضحايا بأن الجاني لن يجد العقاب الرادع له، وأن رئيسها المباشر لن يسمع لها خوفًا على سمعة عمله، ففي اليابان مثلًا شكت معظم ضحايا التحرش من العاملات من امتناع مسؤولي العمل عن اتخاذ أية إجراءات عقابية أو رادعة بحق المتحرشين بهن ( ).

٥. إثبات حدوث التحرش من أصعب الأمور على المرأة، فعند سؤال نجاة وصديقتها فيما إذا كانتا تعلمان أن القانون المغربي يمنع التحرش الجنسي ويعاقب عليه، أبديتا استغرابهما قائلتين: هل من سبيل لعلي أستطيع أن أقاضيه؟! وبعد إخبارهما بأن الفصل ٥٠٣ من القانون الجنائي المغربي يعاقب على التحرش، قالت نجاة: "لم يكن في علمي ذلك". قبل أن تستدرك ولكن: "كيف أستطيع أن أثبت أن ذلك الرجل تحرش بي؟! ( ).

لهذه الأسباب وغيرها سيظل موضوع التحرش الجنسي بعيدًا عن المعرفة الكاملة لصورته الحقيقية، بل قل ولا حتى جانبًا كبيرًا منه، فقد جاء في دراسة صادرة عن «معهد المرأة» في العاصمة الأسبانية مدريد: أن عدد اللواتي يتجرأن على التقدم بشكوى لا يتجاوز الـ ٣٥٪ من مجموع حالات التحرش( ).

لذلك سيبقى التحرش الجنسي من أقبح ألوان الأذى للمرأة وأبشع صور الظلم لإنسانيتها.

واقرأ معي أبرز الآثار التي يتركها التحرش بالمرأة:

جاء في تقرير الجمعية الأمريكية للنساء الجامعيات: أن الطالبات أكثر شعورًا بالخجل والغضب والخوف والتشوش، وأقل ثقة وأكثر شعورًا بخيبة الأمل تجاه تجربتهن الجامعية بعد تعرضهن للتحرش الجنسي.

وتقول الطالبات: إنهن يتفادين المتحرَّش بهن، أو أماكن معينة في الحرم الجامعي، وأنهن يعانين من صعوبات في النوم أو التركيز، كما أن الطالبات أكثر لجوءًا للاستعانة بشخص يقدم لهن الحماية، أو إلى تغيير مجموعات الأصدقاء، أو الامتناع عن المشاركة في الفصل، أو الانسحاب من المسابقات، أو التغيب عن نشاط ما، علمًا بأنهن نادرًا ما يبلغن المسؤولين الجامعيين عن تعرضهن للتحرش( ).

وتقول ريفيري، التشيلية: إنه كان يلمس شعرها، ويجبرها على حضور اجتماعات غير ضرورية، ويكتب إليها رسائل جنسية فاضحة، وبرغم أنه لم يلمس جسدها قط إلا أنها تقول: إنها كانت تشعر بالترهيب النفسي.

وتقول: لقد كنت عرضة لقدر لا يصدق من التوتر، وكنت أقفز خوفًا كلما رن جرس الهاتف لأنه خلق لدي إحساسًا بالاضطهاد، كان يأتي إلى مكتبي، وكنت أختفي في دورة المياه، وكان ينتظرني طويلا ( ).

وتقول سميرة: بدأت المعاناة منذ حوالي خمس سنوات، صمدتُ خلالها كثيرًا أمام إغراءات ومطالب رئيسي في العمل قبل أن يتحول التحرش الجنسي إلى انتقام بعد أن رفضت الاستجابة لطلباته، فقد أصبح يتدخل في كل مرة من أجل حرماني من كل امتياز أو ترقية، وأخذ بالضغط عليَّ من أجل دفعي لمغادرة العمل بعد أن يئس من النيل مني ( ).

وتقول ليندا – ٤٣ سنة سكرتيرة لدى مدير عام بشركة عمومية:

منذ ما يزيد على ستة أشهر أعيش حالة قلق وتوتر دائمين؛ بسبب تصرفات مديري الدنيئة، وبحكم أنني سكرتيرته الخاصة فأنا أقضي ساعات معه كل يوم في المكتب، أقضيها في التفكير في اختلاق طريقة لتجنب نظراته الوقحة جدًا ومحاولاته الدائمة للمسي، مما أثر سلبًا

عليَّ، فحتى عندما أدخل بيتي لا أتخلص من العصبية، وكثيرًا ما يعود ذلك سلبًا على ابنتيَّ اللتين لا ولي لهما ولا مسؤول عنهما غيري. ولعل الحاجة وضرورة العمل والمسؤوليات العائلية هي التي تفرض على المرأة الخروج للعمل وتحمل ظروف قاسية( ).

وفي دراسة صادرة عن «معهد المرأة» في العاصمة الأسبانية مدريد: أن أغلب هؤلاء العاملات يعانين من أمراض نفسية مثل: القلق، والسهر، واللامبالاة، والخوف، والتعرض للكوابيس( ).

وتقول فوزية بو حريم - أستاذة علم نفس بكلية الآداب والعلوم الإنسانية، قسم علم النفس بجامعة عنابة: عندما لا تكون المرأة المتحرش بها جنسيًا راضية بالأمر، فإن الأمر يصبح مطاردة، والإحساس بالمطاردة قد يسبب الانهيار العصبي، خاصة إذا كانت ظروف المرأة لا تسمح لها بمغادرة مكان العمل أو الدراسة، فإن بقيت تحت الضغط فقد تصاب بانهيار، وإذا كان بإمكان المرأة المغادرة أو الهروب فإنها تصبح حذرة في علاقاتها حيث ستظل التجربة السلبية راسخة بذهنها وبداخلها.

وفي حال كانت المرأة الطالبة أو العاملة ذات شخصية هشة غير متماسكة أو ضعيفة فسيؤثر ذلك كثيرًا عليها في المستقبل، فقد يصل

بها الأمر لرفض الارتباط بزوج؛ لأنها سترى في كل الرجال صورة الرجل الذي تحرش بها جنسيًا. فإن وصلت لتكوين أسرة، فقد لا ينفع معها تغيير المكان، أي أن تغيير الوضعية لن يؤدي بها؛ لتغير فكرتها وانطباعها لهذه الأسباب وغيرها .

وإذا وقعت المرأة في شباك المتحرِّش بها، واستطاع التلاعب بها فقد يتعدى الأثر إلى المنزل، فتزهد المرأة في زوجها نتيجة العلاقة الجديدة، فتتغير المعاملة مع الزوج، وقد تتفاقم لتصل إلى طلبها الفراق والطلاق! لتعيش مع من قوض حياتها الهانئة سعيًا وراء السراب!

وترك المرأة للعمل وعودتها للمنزل من أبرز آثار التحرش، تقول منظمة العمل العربية: تفضل الكثيرات من النساء العودة لمنازلهن بعد تعرضهن للتحرش .

وهناك أثر بالغ على سير العمل وقوته، فالقبول لن يكون على أساس الكفاءة والمؤهلات،بل سيكون هناك عناصر جديدة في أولوية التوظيف فالجمال وحسن المظهر، هما أهم الصفات المطلوبة في المتقدمة عند من نفسيته مريضة بهذا المسلك المشين، فضلاً عن المحسوبية في الأداء الوظيفي فيما بعد!! وهذان الأثران على حساب العمل.

وفي جولة عالمية نتبين فيها معاناة المرأة من هذه الظاهرة:

نبدأ من مقر الأمم المتحدة حيث قدم مفوض الأمم المتحدة لشؤون اللاجئين «رود لويرز» استقالته على خلفية الاتهام الموجه إليه بالتحرش الجنسي، والذي حواه تقرير سري داخلي في الأمم المتحدة، وكانت صحيفة اندبندنت البريطانية قد نشرت التقرير الدولي السري الذي وجه الاتهام لـ«لويرز» .

أما الموقع الثاني في جولتنا فهو أمريكا: وفيها صدر تقرير عن الجمعية الأمريكية للنساء الجامعيات، وهي منظمة تدافع عن حقوق المرأة، مقرها واشنطن العاصمة، جاء فيه أن حوالي ثلثي من شاركوا في الاستطلاع أشاروا إلى تعرضهم لشكل من أشكال التحرش الجنسي وهو ما تعرفه الدراسة بأنه سلوك جنسي غير مرحب به، ويعتبر بمثابة تدخل في حياة الطالب، وقد تراوحت أعمار المشاركين في الاستطلاع ما بين ١٨ و ٢٤ عامًا، كما أنهم ينتسبون إلى كليات خدمة المجتمع وكليات جامعية وجامعات خاصة وعامة في أرجاء البلاد، وقد وجد المحللون أن معدلات من يتعرضون للتحرش الجنسي مرتفعة على نحو يثير الدهشة، خاصة في ضوء الاهتمام العام بهذا الموضوع في أعقاب الاتهامات الموجهة إلى شخصيات بارزة مثل الرئيس كلينتون وقاضي المحكمة العليا كلارينس ثوماس والسناتور السابق بوب باكوود .

وتشير كاربينسكي – امرأة عملت في الجيش الأمريكي مدة ٥٣ عامًا حتى وصلت رتبة جنرال، وقد أقيلت من عملها على أثر فضيحة سجن أبو غريب في العراق، إلى العديد من الأحداث التي تتراوح من: مسابقات القمصان القطنية المبللة في حمام سباحة عسكري، إلى هجوم مسلح على وحدة حمامات، وتقول: إنها كثيرًا ما تحذر النساء الطامحات في دخول الجيش بأنهن سيواجهن إما التحرش الجنسي، أو الاعتداء الجنسي، أو أنهن سيتعرضن للاغتصاب، إذا ما التحقن بالجيش. وفي مقابلة هاتفية حديثة معها، أخبرت كاربينسكي ومينز إي نيوز قائلة: "أعتقد على وجه الخصوص أن النساء بحاجة لدخول هذا المجال المهني وأعينهن مفتوحة تمامًا، وليست حالمة، وأن يفهمن أن الجيش ما زال أمامه طريق طويل وطويل.

وقد وجد أحدث وأكبر مسح للعاملين بالقوات المسلحة، أجرته وزارة الدفاع عام ١٩٩٥، أن ٧٨ ٪ من النساء و ٣٨ ٪ من الرجال العاملين في القوات المسلحة قد تقدموا ببلاغات عن تلميحات جنسية غير مرغوب فيها، وهذه الأرقام أعلى مما هي عليه في قوات الاحتياط وفقًا لتقرير صدر عن الكونجرس في سبتمبر الماضي. وقد وجد هذا التقرير أن ٦٠٪ من النساء و ٢٧٪ من الرجال العاملين في قوات الاحتياط والحرس القومي يتعرضون لنوع من أنواع الاعتداء الجنسي أثناء فترة خدمتهم .

وموقعنا الثالث في جولتنا هو أمريكا اللاتينية: وسنأخذ أكثر البلدان فيها محافظة اجتماعيًا وهي شيلي: فبعد ثلاثة أشهر من إقرار شيلي لقانون مكافحة التحرش الجنسي يشير المسؤولون إلى زيادة كبيرة في عدد الشكاوى.

أما في أوروبا: فتقول المفوضة الأوربية للعمل والشؤون الاجتماعية -أناديا منتوبولو- التي تعتبر نفسها واحدة من ضحايا التحرش الجنسي عندما كانت طالبة: إن حجم هذه الظاهرة غير مدرك على نحو فعلي في دول الاتحاد، وأن ٣٥٪ من النساء يتعرضن إلى شكل من أشكال التحرش الجنسي في مكان العمل.

وتشير إحصائيات المفوضية الأوربية إلى أنه خلال العام الماضي تعرض نحو ٥٠٪ من النساء العاملات إلى تحرشات جنسية .

وفي أسبانيا: جاء في دراسة صدرت عن معهد المرأة في العاصمة الأسبانية مدريد: أن مليونا و ٣١٠ آلاف عاملة تعرضن لنوع من أنواع التحرش الجنسي عام ٢٠٠٥، أي ١٥٪ من مجموع عدد العاملات في أسبانيا الذي يبلغ ٨ ملايين و ٤٢٥ ألف عاملة. وأشارت الدراسة إلى أن ٤٠ ألف عاملة ستغير مكان عملها لهذا السبب .

من هذه القراءات يتضح لنا حجم المشكلة وتعاظم شأنها، وفي الحقيقة فإن ما يحدث في وطننا العربي هو أدهى وأمرُّ، وهو تحرش المسؤولين الرؤساء بالمرءوسات، وهنا لا تستطيع المرأة المواجهة، بالإضافة أن إجراء أي نوع من أنواع الدراسات والمكاشفات يفقد الدليل؛ لأن أنماطنا الثقافية والاجتماعية -ثقافة العيب- تمنع المرأة من الحديث في هذا الموضوع.

والبارز في ذلك ثلاثة أمور أشير إليها في عجالة:

أولاً: الاستغلال، أي أن بعض النساء يذهبن للمسؤولين لإنهاء إجراءات أو الحصول على حق قانوني؛ يمارس الوزير أو المدير أو المسؤول استغلاله في التحرش بها مقابل الحصول على الحق.

ثانيًا: وأبشع أشكال الاستغلال الأخرى، هو التحرش المنتشر في الوطن العربي عند طلب الوظيفة بالنسبة للمرأة التي ترغب العمل، فتصبح فريسة لأصحاب الأعمال والمسؤولين للتحرش بها مقابل الحصول على الوظيفة، وأكثر من عنصر يؤكد أن هذا الموضوع منتشر في الوسط الفني والإعلامي بشكل واضح وملحوظ في الوطن العربي.

ثالثًا: وهي في تصوري أمُّ المشاكل لهذه الظاهرة، وهي نزوات القادة والزعماء والأمراء والوزراء وأغنياء العرب، وكيف يخططون

للتحرش بالمشاهير في كافة المجالات من النساء، وكم من ندوة ومهرجان ومؤتمر واحتفال نظم من أجل التحرش بواحدة، وكم من ملايين صرفت من قوت هذا الشعب العربي المسكين من أجل المتعة ومغامرات التحرش بالمرأة.

المجلات الأدبية الثقافية

يحتل ميدان الرحلة الأدبية في التراث العربي والإسلامي حيزًا معتبرًا إذا قيس ببعض النشاطات الأدبية الأخرى.. فقد تميزت الحضارة الإسلامية بهذا النوع من الرحلات الأدبية، التي أضفى عليها رصيدها الحضاري نوعًا جديدًا من الخيال الإبداعي الماتع الذي يمتزج فيه الواقع بالخيال السحري في تناغم يثير الشهية والمتعة لدى القارئ.

وليس ثمة خلاف حول أهمية المجلات الثقافية والأدبية بالنسبة إلى أدب الأمة التي تنتجها، علاوة على إثراء لغة هذه الأمة، فالمجلة الأدبية الثقافية جزء من صحافة الأمة وذاكرتها، وبالتالي فهي جزء أيضًا من أدبها وتاريخها الثقافي.

وكما يقول العقاد: إن الصحافة على اختلاف مواعيدها وموضوعاتها قريبة اللحمة بالأدب من حيث هو لغة وتعبير عن شعور.. فما من صحيفة مهذبة -أيا كان موعدها ومطلبها- إلا وهي تزيد ذخيرة اللغة المكتوبة، وتضيف إلى محصول النفس من المعاني والخواطر.

ويرى أيضًا الباحث الإنجليزي «براد برى» أن المجلات الأدبية تتيح فرصًا ممتازة لدراسة أدب عصرها وأفكاره وأمزجته وأساليبه ونظرياته مما يشكل نمطًا لنشاط العصر ونموه ونضوجه، بل واضمحلاله أيضًا.

وتتجلى أهمية المجلة الثقافية الأدبية في حمل الأعمال الثقافية والأدبية ونقلها إلى الناس ودراستها، فالمجلة بهذه الصورة وسيلة للنشر والتواصل والمعرفة، وهي أيضًا وسيلة اتصال بين المنتج - الكاتب - والمتلقي، كما أنها وثيقة أصلية عند دراسة وتحليل هذا المنتج المطبوع من أعمال أدبية وثقافية.

وأتصور أن أهمية المجلة الثقافية الأدبية ليست في كونها وسيلة ووثيقة فحسب، ولكن تكمن أهميتها في كونها مدرسة للمثقفين وعامة المتعلمين.. فهي بذلك تعتبر مدرسة لتخريج الناشئين من الأدباء والمثقفين.

وتشكل المجلة الثقافية بيئة فكرية كما أنها مؤسسة ثقافية تنويرية لا يقل دورها أهمية عن أية مؤسسة ثقافية أخرى.

والمجلات الثقافية هي: المطبوع الذي يصدر بعنوان ثابت وبشكل دوري أسبوعي أو شهري أو فصلي، وتنقسم المجلات الثقافية من حيث التخصص إلى نوعين:

الأول: المجلة الثقافية العامة، التي تهتم بكل الأنواع الثقافية من علوم وفنون وعلوم اجتماعية واقتصادية وسياسية وغيرها مثل مجلة العربي ومجلة الثقافة العربية.

والثاني ينقسم إلى ثلاثة أقسام:

- المجلات الثقافية المتخصصة: كالمجلات الأدبية التي ينصبّ اهتمامها على الأدب وحده، أو على فرع منه كالشعر أو القصة أو كليهما معًا أو النقد الأدبي.

- المجلات الفنية: وتهتم بالفنون أو بفرع منها أو أكثر كالسينما والمسرح والتلفزيون والفنون التشكيلية والفلكلور.

- المجلات العلمية: وهى المختصة بالعلوم، أو فرع من فروعها كالطب والزراعة وعلوم الفضاء.. وغيرها.

من هنا يتراءى أهمية وجود مجلات ثقافية أدبية عامة ومتخصصة غير محتكرة لفكر واحد أو نمط واحد من التوجهات؛ لأن عصر الانغلاق الثقافي ولى دون رجعة؛ بحكم وسائل الاتصال الحديثة التي تنقل لنا الأدب والثقافة من كل أنحاء العالم دون عناء، وعلى مجلس الثقافة العام وكافة الجهات المسؤولة عن الثقافة والمعروفة مسؤولية تاريخية للاهتمام بهذا الجانب وتطويره بما في ذلك برامج ترجمة ثقافات الغير، وهو موضوع مهم ومتشعب ويحتاج وحده إلى برنامج ليس قطري بل يتجاوزه في تصوري ليكون برنامجاً قوميًّا.

ألا نرى اليوم كيف يقدم لنا المشهد الإعلامي في سائر أقطار البلاد العربية الشاهد الأصدق على أن العرب يجتازون امتحانهم التاريخي الأكبر، فلا السياسة ولا الاقتصاد ولا تكنولوجيا المعلومات بمنقذة لهويتهم ما لم يصوغوا لأنفسهم مشروعهم الذي به يندرجون بجدارة وأحقية في مجتمع المعرفة.

الشباب هم الحل

لقد حظي مفهوم الشباب باهتمام العديد من علماء النفس والاجتماع، كما تعددت محاولات وجهود المشتغلين مع الشباب لتوضيح ماهية الشباب، وتباين المفهوم فيما بين هذه الرؤى، فمنها ما يوضح مفهوم الشباب وفق المعيار الزمني «السن»، ومنها ما يتناوله من خلال الخصائص والحاجات، وكذلك نجد من يحدد مفهوم الشباب في ضوء البلوغ الجنسي والنمو الجسمي، ومع ذلك فإن المفهوم الذي يلقى قبولاً هو أن الشباب: مرحلة يكون فيها الشاب أو الإنسان قادرًا ومستعدًا لتقبل القيم والمعتقدات الجديدة حيث أصبحت لهم مطالب قد لا تتصل بإشباع حاجات أساسية.. ولكنها تتصل بالتأكيد بإشباع حاجات اجتماعية محلية يتطلب إشباعها عادة إعادة صياغة النظام الاجتماعي والاقتصادي والسياسي بكامله.

«الشباب بحق هم عماد الأمة»، «هم نصف الحاضر وكل المستقبل»، «هم من يعول عليهم المجتمع»... هذه المسميات وغيرها من الأساليب الدعائية والتي تندرج تحت عناوين الندوات وفوق المدرجات وبرعاية الأرصفة وإشارات المرور وأحيانا تجدها رسالة على هاتفك المنقول..

إن الشباب هم الحل وليسوا هم المشكلة، إنهم -يا سادة- في حاجة إلى عنابر للتدريب والتصنيع، ومعسكرات لإقامة ورش التعليم الصناعي والحرفي ومصحات لمعالجة الغزو الفكري الغربي المستورد، الذي يذهب بهم إلى التفسخ والانحلال، وهم أيضًا بحاجة إلى منابر نور وهداية إلى طريق الحياة الإسلامية الوسطية التي تبعد عنهم دهاليز التطرف والانحراف.

فحاجة الشباب هي الرعاية والتعليم والتربية والاحتواء المخلص النبيل؛ لكي يستطيعوا النهوض بالمجتمع والإسهام بحل كافة قضاياه.. الشباب هم حل مشكلة الاقتصاد، وهم الحل في تسيير الخدمات العامة، وهم الوسيلة والأداة الفعالة في القضاء على الفساد الإداري والمالي والأخلاقي، الشباب هم الوسيلة وليسوا الغاية.

فالشباب يحتاج إلى نوادٍ ومنابر وروابط وجمعيات مفتوحة دون قيود إلا قيود الأخلاق والالتزام بأحكام الدين من أجل أن نمكنهم من المشاركة الحقيقية في لبنة التغيير ووضع الخطط لتسيير عمل المؤسسات في المجتمع نحو التقدم؛ بعقولهم ومهارتهم، فعلى مجالس التخطيط وحاملي الشهادات المستوردة من وراء البحار أن يعوا أن المشاريع القائمة بحاجة إلى سواعد الشباب وعقولهم ومهاراتهم المهنية والحرفية.

الشباب -يا سادة- في حاجة إلى تمكينهم في العديد من الوظائف، الشباب ليسوا ذخيرة المجتمع وتقدمه فحسب، بل لا يمكن لمجتمع أن يرقى ويتقدم ويتجدد عطاؤه ونماؤه دون الشباب.

الشباب في حاجة إلى برامج تمنحهم فرصة التمويل الاقتصادي طويلة الأجل دون قيد أو شرط، وتحت رعاية ومراقبة جهوية محلية، وليس وفق روتين إداري محكم الإغلاق...

لا أنصح أيها السادة بأن نتعامل مع الشباب من خلال سياسة الاسترضاء كتوفير المركوب والزواج الجماعي وشهادات تخصيص المساكن، بل الصحيح هو أن نتعامل مع الشباب وفق سياسة الترشيد، وإفساح المجال وتحقيق مبدأ تكافؤ الفرص لكل الشباب، من أجل أن تتوفر له وبجهده، وبما يقدم له من تسهيلات ورعاية لتحقيق سبل الحياة الكريمة، والمشاركة الفعالة في دوران عجلة التقدم إلى الأمام.

وحتى نؤمن أن الشباب هو الحل وليس المشكلة، فلابد لنا من مواجهة فلسفة العقل عن طريق فلسفة الفعل، ولابد أن ندرس الأفكار البسيطة حتى نخضعها لقياس العقل، وبعد ذلك نصل إلى الأفكار الأكثر تعقيدًا. وحتى يمكن لنا الخلوص إلى نتائج متكاملة، لابد لنا أن نقف موقفا عقلانيًا تجاه قضية المجتمع نحو الشباب باعتبارهم هم الحل وليسوا المشكلة، ولابد أن نتحدث بكل وضوح

وشفافية، فالشباب أمام واقع يضيق الخناق، فماذا يفعل الشباب وهو يرى السماء فوقهم بهذا الانخفاض؟ وكيف يرفعوا رءوسهم بكامل قاماتهـا؟ وكيـف لهـم أن يتـأملوا الآفـاق دون فضـاء رحـب يتـيح الانطلاق؟

إن مساحة المشاركة والإبداع ضيقة، والقدر المتاح للإبداع يكاد يكـون معدومًا... فأمامنا في مجتمعنا العربي الليبي أشواطا طويلـة لابـد أن يقطعها في سباق مع الزمن في ظل رعاية الشباب؛ حتى يصـبح لهـذا المجتمع وجودًا شبابيا يسطر على صفحات التاريخ السريع التـواتر الذي لا يرحم المتأني ولا يغفر لمن يخطئ في حق مجتمعه وشبابه.

كما أن هذا العمل التاريخي لا يتم إلا بوضع طاقات الشباب في الإطار الصحيح، والدفع بها من أجل تحقيق التقدم والرقي لوطننا الحبيب.

إن الجهد المطلوب ليس سهلا، بل يحتـاج إلى إرادة سياسـية قويـة، وعمل يسخر كل جهد للرفع مـن مستوى شـبابنا تعليميًـا وتربويًـا وعمليًا واجتماعيًا واقتصاديًا.

ويتطلب أيضًـا مـن الشـباب اسـتيعاب المرحلـة الـتي نعيشـها، وأن يسخروا هم أيضًا كل طـاقتهم لخدمـة وطـنهم ومجـتمعهم بـإخلاص وإيمان؛ للوطن ولله تعالى، وفق تعاليم القـرآن المـنيرة وسـنة رسـولنا الكريم صلى الله عليه وسلم..

الهوامش:

مفهوم الشباب : المركز الدولي للدارسات المستقبلية والاستراتجيه القاهرة

الشباب والإسلام : المنظمة الإسلامية للعلوم والثقافة (الاسيسكو)

فقدان المواهب الشابة الدكتور إبراهيم قويدر